الدرس الثاني / تجريد التوحيد المفيد للمقريزي

قراءة الطالب: إن الحمدلله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، اللّهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد، يقول المؤلف -رحمه الله تعالى-:

"بسم الله الرحمن الرحيم لحمد لله ربّ العالمين، والعاقبة للمتقين، وصلّى الله على نبيّنا محمد خاتم النبيين، وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فهذا كتاب جمّ الفوائد، بديع الفرائد، ينتفع به من أراد الله والدّار الآخرة، سمّيته كتاب: "تجريد التّوحيد المفيد."والله أسأل العون على العمل به بمنّه. اعلم أن الله سبحانه هو ربّ كل شيءٍ ومالكه وإلهه:

فالرب: مصدر ربَّ يَرُبُّ ربًّا فهو رابٌّ، فمعنى قوله تعالى :{رَبِّ الْعَالَمِينَ} : ربُّ العالمين، فإن الربّ ﷻ هو الخالق الموجد لعباده، القائم بتربيتهم وإصلاحهم، المتكفّل بصلاحهم من خلقٍ ورزقٍ وعافيةٍ وإصلاح دين ودنيا".

الشيخ --حفظه الله-: الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أما بعد:

فهذا الكتاب (تجريد التوحيد المفيد) للمقريزي؛ لأحمد بن علي المقريزي المتوفى سنة ثمانمئة وخمسة وأربعين (845 هـ)، هو كما قال صاحبه: "جمع الفوائد، كثير الفوائد، وغزيرها، وفيه درر ونفائس على صغر حجمه" قال: "بديع الفرائد": بديع: لم ينسج مثله قبله فهو بديع لم ينسِج أحد من المؤلفين مثل هذا الكتاب، وُضع هذا الكتاب لينفعَ الله تعالى به، وقد فعل فيما أحسب وأظن نفع الله تعالى بكتابه فتلقّاه العلماء بالقبول، وذكرت ذلك في الدرس السابق الذي خصّصتُه لأهمية هذا الكتاب والتعريف به، ولكن من الذي ينتفع بهذا الكتاب؟ هم فئة من الناس من أرادوا الله والدّار الآخرة، وعلامة من أراد الله والدّار الآخرة وذكرَ الله كثيراً هذه علامة الذين يقتدون بالنبي ﷺ كما قال الله ﷻ : {لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ والدَّارَ الْآخِرَةَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا}، من لم يرجو الله والدار الآخرة قد يكون رسول الله ﷺ أُسوةً له في الظاهر، ونحن مأمورون بأن نقتدي برسول الله ﷺ في الظاهر والباطن، وأهم شيء الباطن نقتدي بالنبي ﷺ بعقيدة صحيحة، وأهم شيء في العقيدة معرفة الإثبات؛ إثبات الربّ جلّ في علاه وطريقة إثبات هذا الرب، وهذه الطريقة وقع فيها وقال: "وما زالت الكتابات في طريق معرفة الربّ ﷻ تحتاج إلى تجلية" وجُلُّ الناس يعرفون ربّهم بفِطرهم وبآيات الله المكتوبة المسطورة، وبآيات الله المنظورة هذه الطُرق الشرعية لمعرفة الله تعالى.

أما الفلسفة والخوض في باب الفلسفة وما شابه فهذه طُرق بدعيّة وثمارها ليست حسنة وبسبب إثبات الربّ بهذه الطريقة وقع وانتشر المعتقد الفاسد أو المعتقد الذي فيه خلل. قال: "والله اسأل العون" قدّم المفعول "الله" على "أسأل العون" وفي هذا الإشارة إلى الحصر على العمل به بمنّه، أن يعمل الإنسان المعتقد حتى يصل صاحبه إلى اليقين فالعمل به شرطٌ لا يمكن للعبد أن يقع في قلبه اليقين إلا عند العمل به؛ فمهما حسَّن الطلب ونظر؛ لكن لا يجد اليقين الذي يقع

فيه الإثبات وانشراح الصدر والتسليم المطلق لله ﷻ إلا بالعمل؛ فالعمل هو شرط لحصول اليقين في القلب. قال : "اعلم": العلم الاعتقاد الجازم بعد تصور الشيء على حقيقته، وقول المصنف: "اعلم" هو إرشاد والتماس فالأمر جاء من أعلى أي: من الربّ ﷻ فهو أمر شرعي وإن جاء من المثيل وممن هو مثلك فهذا التماس؛ فالمصنف يلتمس ويرشد الطلبة من يقرأون كتابه يقول: "اعلم أن الله سبحانه هو ربّ كل شيءٍ ومالِكُهُ وإلهه".

هذا الكتاب أفرده صاحبه من أجل تحقيق توحيد الألوهية، ثم ابتدأه بتوحيد الربوبية وفي أثناء مباحثه رأى حتماً لازماً للتعرض لبعض مباحثَ تأتي لاحقاً حول توحيد الربوبية وإن كان الكتاب موضوعاً لتحقيق توحيد الألوهية.

اعلم علمني الله وإياك أن من حقق توحيد الربوبية على وجه التمام والكمال بحصول الشروط وانتفاء الموانع؛ فإن ذلك يستلزم ولابدَّ لتحقيق توحيد الألوهية ومن حقّقَ توحيد الألوهية فإن ذلك يتضمنُ تحصيل حاصلٍ بأن توحيد الربوبية قد تم ونَجَز؛ فتوحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية وتحقيق توحيد الألوهية يتضمن أن تحقيق الربوبية إنما هو تحصيل حاصل؛ فتوحيد الربوبية إنفراد الله ﷻ: بالخلق، والملك، والتدبير، أنْ توحِّد الله تعالى بأفعاله هو، وأما توحيد الألوهية: أنْ تحقق توحيد الله بأفعالك أنت، توحيد الألوهية أن يحقق العباد توحيد الله تعالى بأفعاله فالنازل من الله يخص توحيد الربوبية والصاعد إلى الله من أعمال الناس إنما يخص توحيد الألوهية ؛ فالله جلّ في علاه ربّ كل شيء ومالكه وإلهه؛ فجميع الأفعال التي ترجع إلى ربوبيته على خلقه؛ فهذا هو توحيد الربوبية قال: "فالرب مصدر ربَّ يربُّ رباً فهو رابّ" رابّ: اسم فاعل؛ فهنالك الربّ، والمربو، والربوبية؛ فالربوبية: مصدر، والرّابُّ أو الرّب: اسم فاعل، والمربوب: اسم مفعول، ومن هو المربوب؟ كل من عدا الله ﷻ فهو مربوب؛ فالله جلّ في علاه رابّ وقال: "فمعنى قوله تعالى:

{ربُّ العالمين}: رابُّ العالمين. أحسن ما يفسر ربّ العالمين قول الله، قال فرعون أي لموسى عليه السلام وما رب العالمين ؟ -طبعاً يستنكر فرعون وجود ربّ العالمين هو الربّ في زعمه وكذبه وقامت الأدلة المتواترة الكثيرة على أنه ليس برب- قال لموسى وما رب العالمين؟ فكان جواب موسى في قوله تعالى: {قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ} ما هو رب العالمين في تعريف موسى عليه السلام ؟ رب {رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ} ؛ فكل شيء الموجودات: سماء، وأرض، والعوالم: عالم الملائكة، وعالم الجن، وعالم الإنس هذه كلها مربوبة، وإذا وُجد غيرها والأخبار في ذلك ليست بصحيحة وبسطها وطوّل فيها ابن جرير في مقدمة كتابه (التاريخ) قال: "فيه جنّ وفيه حِن" قال غير الجن فيه حِن وهذا لم يثبت لكن لو ثبت فالله جل في علاه هو الله الرابّ على وزن فاعل، ثم حذفت الألف لكثرة الاستعمال نحو قولهم: "برَّ يبُرّ باراً وبر" فـ بار اسم فاعل، وحذفت الألف مثل الرّاب لكثرة استعمال الناس فأصبح الربّ بمعنى أنه اسم فاعل والله الربّ، مدار الربوبية تدور على أربعة معاني وهذه المعاني الأربعة قد يكون لها استلزاماً يفيد شيئا آخر، المعاني الأربع: الله، الربّ، ربّ العالمين، الله. الرب هو: المالك، والرب: هو السّيد والربّ: هو المصلح والمتصرف والربّ: هو المربي، هذه هي المعاني الأربعة للربّ. المعنى الأول: المِلك، المعنى الثاني: السّيد المعنى الثالث: المصلح المعنى الرابع: المربي. تأمل معي من كان مالكاً ولهم سؤدد وسيادة لا يمنعه شيء من أن يتصرف فيما ملك وهو الذي يصلحه وهو الذي يربّيه التربية البدنية فيُنمّيه، والتربية القلبية الباطنية فيصلحه فهذا هو الخالق، ولذا لا يقال الربّ بالألف واللاّم لا يطلق إلا على الله عز وجل لأن الله تعالى هو مالك كل شيء، ويطلق الرّب بالإضافة فتقول ربّ الدار، وربّ السيّارة فهذا الإطلاق معروف عند العرب؛ فالرب بمعنى أنه الرّاب وأنه المالك السيد المصلح المربي هو هذا معنى الرب عز وجل قال: بعض الشعراء: "أَرَبٌ يبول الثعبان برأسه

لقد هان من بالت عليه الثعالب" هذه الأصنام التي كان يعبدها الجاهلية فهو صنم مخلوق مربوب أُطلق عليه كذباً وزوراً الربّ؛ لذا سبب وجود الكفر عند المشركين مع اعترافهم بأصول تحقيق توحيد الربوبية إنما مردّه إلى خلل في توحيد الربوبية؛ فلو لم يكن هنالك خلل في توحيد الربوبية فانتفت الموانع واستكملت الشروط لكان توحيد الربوبية لازماً لتحقيق توحيد الألوهية؛ فالكتاب هو خاص في توحيد الألوهية لكن لا بد أن يبدأ بدايةً صحيحةً موفقةً في تحقيق توحيد الربوبية.

الربّ هل هو اسم فاعل أم هو مصدر؟ هو اسم فاعل، ولكن كما قلت حُذفت الألف لكثرة الاستعمال وما ذكره المصنف "من المصدر ربّ يرب رباً فهو رابّ" هذا مذكور في معاجم اللغة ويذكرونه ليبينوا أنّ معنى الربّ هو المصلح؛ فيقال المصلح للشيء: ربيت الشيء أربّه رباً إذا أصلحته وقمت عليه فهذا من معاني المصلح.

نقف مع المعاني المذكورة الأربع وقفات سريعة: المالك: فكل الموجودات مالكها الله عَزَّ وَجَلَّ فالملك العام لله عَزَّ وَجَلَّ وما يملكه المخلوق إنما يملك شيئاً خاصاً ولذا المفروض إن أردت أن تضيف ما تملك لابد أن تقيده بقيد فتقول ربّ الدّار، ربّ الإبل، ربّ السّيارة، ربّ الدّابة أي: صاحبها ومالكها أما إذا أُطلق الربّ هكذا على الإطلاق فلا يراد به إلا الله عَزَّ وَجَلَّ.

أما السّيد: فهنالك علاقة بين الله وبين العبيد وهذه العلاقة تبدأ بتوحيد الربوبية فالله السيد والمخلوقات جميعاً عبيد لله سبحانه فالله هو السيد والسّيد من السؤدد السيد سمّي سيداً مِن سُؤدده وهو معنى قول الله عَزَّ وَجَلَّ: {اللَّهُ الصَّمَدُ}، ومعنى الله الصمد الله السيد؛ ولأن الله هو السيد فهو الذي تُرد إليه الأشياء فالله الصمد الله الذي يردّ إليه كل شيء، هو الله المالك فالله عَزَّ وَجَلَّ الربّ بمعنى أنه سيّده ومنه قول يوسف عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام الفتى الذي خرج من السجن قال له "أذكرني عند ربك" ما معنى تكون عند ربك؟ ربّ مضاف وهذا يجوز إطلاقه في شرعنا

عندنا المولى تقول فلان عبد فلان تقول مولى فلان، والمولى عند الفقهاء يقولون مولى من فوق ومولى من تحت، مولى من فوق هو السيد ومولى من تحت هو العبد يطلقون على العبد مولى ويطلقون على السيد مولى ويميزون بين المولى السيد والمولى العبد بقولهم مولى من فوق مولى من تحت، لكن السيد بالألف واللام كالرب فيجوز استخدام السيد بالإضافة "اذكرني عند ربك" أي عند سيدك، ورد حديث عن المطرِّق بن عبدالله بن الشخير عن أبيه قال: "انطلقت في وفد بني عامر إلى النبي ﷺ فقالوا لرسول الله ﷺ أنت سيدنا -هذا هو الصحيح ؟ صحيح هل رسول الله ﷺ سيدنا ؟ نعم سيدنا، النبي سيد الخلق سيد ولد آدم - قال أنت سيدنا فقال النبي ﷺ السيد الله -السيد بالألف واللام الله- قالوا وأفضلنا فضلاً وأعظمنا قولاً فقال ﷺ: قولوا بقولكم ولا يستجرنّكم الشيطان". أخرجه الإمام البخاري (بالمفرد) والنسائي في (عمل اليوم والليلة) وأبو داوود بإسناد صحيح لا يستجرنكم الشيطان ولا تغلو فيه لكن أقرّه النبي ﷺ مع قوله السيد الله فالله الرب هو الله السيد، السيد بالإضافة "أنت سيدنا" قاله بعض الصحابة كما أيضا عند البخاري وأبو داوود والحاكم في (المستدرك) ثبت النبي ﷺ قال: "لا تقولوا المنافق سيدنا فإن كان سيدكم فقد أغضبتم ربكم" لا يقال للمنافق سيدي أما غيره يقال سيدي، لكن لا يقال "السيد" إلا إلى الله ﷻ ، ولذا ثبت عند البخاري في الصحيح أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يقول: "أبو بكر سيدُنا أعتقَ سيدَنا" أعتق من ؟ أعتق بلالاً رضي الله عنه فسمّى عمرُ أبا بكر مُعتِق سيداً ، وسمّى بلالاً المعتَق أيضا سمّاه سيداً فالسيد بالإطلاق هو الله كما قلنا في الرب ﷻ.

إعلم علمني الله وإياك أن الله جل في علاه يُسمى الربّ بمعنى المالك والسيد والمصلح والمربي وأنّ المعنيين الأولين الملك والسيد يشترك فيهما جميع الخلق، وأما المصلح والمربي فإن الله ﷻ

يُصلح بعض الخلق ويربّي بعضاً ويفاوت بين الخلق في الإصلاح والتربية، ولذا قال أهل السنة كلاماً لابدّ من التعرض إليه.

الله جلّ في علاه له إرادتان: إرادة كونية تخص الخلق كلهم، وإرادة شرعية، الإرادة الكونية: تعود للمشيئة، والإرادة التي فيها ما يحب الله ويرضى وهي الإراده الشرعية هي ما يحبه الله ﷻ الذي يحبه يصلحه ويربيه، وأما من لا يحبه فهذا يبقى مربوباً ويبقى تحت مشيئة الله ﷻ الكونية، ومن هنا وقع خلل كما سيأتي بيان تفصيل في توحيد الربوبية عند المشركين وكانوا لا يفرّقون بين المشيئتين بين مشيئة الله في قدره ومشيئة الله في شرعه؛ فالله جلّ في علاه هو الرب بمعنى المصلح وهذا الإصلاح يتفاوت على حسب مشيئة الله تعالى في كونه أو في شرعه فأولياؤه، وقبلهم أنبياؤه، وقبلهم رُسُله، وقبلهم أولو العزم منهم، وقبلهم محمد ﷺ ؛ فالله الذي أصلحهم هوالله الذي ربّاهم، أبو جهل الله ربّاه، ولكن وفق مشيئته في كونه وليس ما يحب الله ﷻ، أنظر إلى موسى مثلاً قال الله ﷻ :{وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي} سبحان الله! المحبة العجيبة دائماً لما أتعرّض لسورة القصص لما سقى للمرأتين ما صبرت قالت: "إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا" ، فلما ذهبت قال أبوها "إني أريد أنكحك إحدى ابنتي هاتين" هذه المحبة تربية الله، أوحى إلى أمه "أن اقذفيه في اليَم" وأوحى لليَم "فليلقه اليَم بالساحل يأخذه عدوٌ لي وعدوٌ له" فربّى الله موسى بقصر فرعون، هذا الربّ المربّي الربّ المصلح فالله يكيد لأوليائه أولياؤه محفوظون وقلوبهم معلّقة بالرب ﷻ ؛ فالربّ بمعنى المصلح ومعنى المربي الله جل في علاه يفاوت فيه بين الناس وبمعنى المصلح الرب ظاهر في معنى المصلح ذلك في قول الله ﷻ :{إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ} ما معنى الربانيون؟ المصلحون قالوا الأحبار: العلماء، والربانيون: الذين يعملون على

إصلاح أنفسهم؛ فالربّ بمعنى المصلح، الحَبر: العالم، والربّانيون هم المصلحون وكذلك في قوله: {لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ} الآيه.. وكلاهما في المائدة، المراد هو أنّ الله ﷻ يربي الخلق مؤمنهم وكافرهم؛ فالكافر يربيه بنعمه فيغذيه برزقه ويربّي جسده، والمؤمن يربّيه كما يربّي الكافر ويزيد على ذلك بأن الله تعالى يصلح قلبه ويهديه إلى صراط العزيز الحميد، والهداية إلى الصراط وهنالك هداية في الصراط وأنت لما تقرأ الفاتحة إيش تقول؟ اهدنا الصراط أم اهدنا إلى الصراط؟ الصراط. الهداية للصراط غير الهداية إلى الصراط الكافر يُهدى إلى الصراط والمؤمن يحتاج إلى هداية في الصراط لماذا ؟ لأن المؤمن يقول: "اهدنا الصراط" نحن نقرر أن الفاتحة فيها أركان الإيمان السته؛ الرسل، والكتب مذكورة في الفاتحة لكن لما تقول الهداية في الصراط فهذا يستلزم ضمناً أن الرسل مذكورين وأن الكتب مذكورين لأنك تسأل ربّك الهداية في الصراط لا إلى الصراط، يستلزم الهداية في الصراط أن تكون قد آمنت بالرسل، وآمنت بالكتب وتأمل باقي الفاتحة تجد فيها بقية الأركان. الفاتحة فيها الأركان الإيمان الستة ،الله ربّانا في شؤوننا كلها تأمل معي كيف ربّانا الله تعالى تربية إمانية صحيحة، وتأمل معي مجموعة من الآيات في الإنفاق الله ﷻ بدأ بقوله: {وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} فأنت وكل ما تملك لله ﷻ ثم قال الله ﷻ :{وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} ما عندك من مال سيفنى والله الذي يرزقك ثم قال الله ﷻ:{وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ}هو رزق من الله إليك ثم قال الله ﷻ:{وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ} فجعل المال لك دون رزقناه ثم قال الله ﷻ: {وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ} ثم قال الله ﷻ: {مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا} آيات متتابعة في موضوع واحد تبين حقيقة الشيء وترد الأمر لله تعالى وأن الله ﷻ هو الذي يصلح وهو الذي يُربي.

أما التفريق بين قدرتين، القدرة التي مردّها للمشيئة، والقدرة التي مردّها إلى المحبة هذا خلَطَ فيه مشركو العرب وتبعهم بعض الفرق مثل: المعتزلة مافرّقت، المعتزلة يقولون الشر يصنعه من ؟ صاحبه، الشر يخلقه صاحبه لذا علماء الحديث وعلى رأسهم الإمام البخاري ألّف كتابه البديع (خلق أفعال العباد) لماذا ألّف كتابه خلق أفعال العباد؟ حتى يبرهن على صحة معتقد أهل السنة والجماعة أن الله ربُّ كل شيء وأن كل ما يفعله العباد من خير وشر إنما مردّه إلى الله ﷻ وأن ما عدا الله مربوب مخلوق في كل شيء؛ فأهل السنة يفرّقون بين الأمرين، أَضْرب لكم مثلاً؛ الصاحب بن عبّاد أمير معتزلي استدعى أبو اسحاق الإسفراييني عالم من علماء أهل السنة واستدعى القاضي عبد الجبار المعتزلي وطلب من القاضي عبد الجبار أن يفتح باباً لمناقشة أبي إسحاق الإسفراييني؛ فلمّا امتثلا عند الأمير قال القاضي عبد الجبار يُعرّض بمذهب أهل السنة قال: "سبحان من تنزه عن الفحشاء"هم يقولون لما نقول أن الله يخلق كل شيء أننا ما نزّهنا ربّنا عن الفحشاء قال: "سبحان من تنزه عن الفحشاء" أبو إسحق فهِم الموضوع فهِم لماذا جيء به والقاضي جيء به وقال على مسمع من الناس "سبحان من تنزه عن الفحشاء" فقال أبو إسحاق: "سبحان من لا يكون في ملكه إلا ما يشاء" فهِم المراد فقال القاضي عبد الجبار: "أرأيت إن منعني الهدى وكتب علي الرّدَى أهو قد أحسن إلي؟ فقال أبو إسحاق: "إن كان قد منعك ما هو لك فقد أساء، وإن كان ما منعك هو له فيختص الله برحمته من يشاء" فالهداية بيد الله ﷻ والله ﷻ ﷻ هو الخالق وخَلقُه يشمل كل شيء، قصة يسيرة ذكرها ابن أبي العز واضحة تجد رؤوس أهل البدع، وهذه سنة لا تنفك عنهم أبداً وذكر هذا مطوّلاً واستدل عليه بآيات الإمام الشاطبي في (الاعتصام)، تجده إمام كبير يغلِبه صغير، عَمْر بن عبيد المعتزلي من كبار أئمة المعتزلة، ألّف الإمام الدارقطني علي بن الحسن أبو الحسن الدارقطني ألّف كتاباً في أخباره وطُبعت أكثر من مرة، كان إمام مسجد فدخل عليه أعرابي صلى وراءه و ربط ناقته

ودخل فصلى، فخرج ما وجد الناقة، الناقة سُرقت فقال الأعرابي لهذا الإمام الكبير عمرو بن عبيد: "لقد سُرقت ناقتي فادعو الله تعالى أن يردّها علي" فعمْر بن عبيد دعا لكن دعا على أصوله هو فقال: "اللهم إنك لم تشأ أن تُسرق ناقته اللهم فردّها عليه" فقال الأعرابي: "لا أريد دعاءك" قال لمَ ؟ قال: "لأنك تعتقد أن الناقة سُرقت رغماً عن الله فأخشى أن يريد الله أن تُرد فلا تُرد" مادام الناقة سرقت وأنت لا تريد أن تُسرق وأصبحت حاشاه ﷻ مغلوباً حاشاه سبحانه؛ فإذن الله جل في علاه هو الخالق وهو في خلقه وسؤدده بمعنى أنه المالك والسيد جميع الخلق فيها سواء أما في موضوع أنه ﷻ المصلح وأنه ﷻ المربي فالناس يتفاوتون في ذلك، الكلام في هذا الباب طويل ولا أريد أن أحرف درسي أو أن أتكلم في موضوع آخر لكن لابد أن ننتبه إلى أن كل ما يقع في الكون إنما يقع بإرادة الله ﷻ ونميز بين الإرادتين وبالتالي فرّقنا بين الله الخالق أو بين الله السيد والله ﷻ المالك فقلنا الناس فيه سواء، ثم الله المصلح والله المربّي فهو يختلف على حسب أحوال الناس وأحوال المكلّفين.

هل الكفار وما يصنعون والشياطين الإنس والجن يخرجون عن إرادة الله ما الجواب؟ نعم ولا، يخرجون عن إرادة الله في شرعه، ولكن لا يخرجون عن إرادة الله في كونه، قال الله ﷻ: {إِنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا}الشياطين: رُسلٌ الله للكافرين، الكفار لهم رسل ومن هم رسل الكفار؟ الشياطين ؛ فـ" أرسلنا" فعل متعدي فتقول الشيطان مرسل لمن؟ للكافرين ولذا الصراع بين الحق والباطل باقٍ إلى يوم القيامة، صراع بين حزب الله وبين حزب الشيطان وهذا الصراع باقٍ مستمر إلى يوم القيامة، وهذا الصراع تظهر قرونه وآثاره، وأرجوا الله تعالى أن يحفظ المسلمين في كل مكان، في هذا الزمان الذي يُعبث بثوابت التوحيد، علماء الاجتماع يقررون شيئاً وهذا الشيء مقرر في الشريعة تأمل معي "خير النّاس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم"

علماء الاجتماع يقولون لما تريد أن تغير مجتمع يبدأ التغيير بعد مئة سنة تشتغل مئة سنة وتبدأ تقطف الثمار بعد مئة سنة وهذه سنّة لله لا تتخلف دلّ عليها الحديث: "خير النّاس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم"، هذه الأمور الثلاثة منها يُؤخذ التوحيد؛ إذن لما أُخذت المآخذ على شيخ الإسلام في الحموية كان ينادي ويقول: "التوحيد أكبر من أن يؤخذ مني وإنما التوحيد يؤخذ من الله ورسوله والصحابة والقرون المفضلة" أنظر الآن العكس وتعكس الصورة ما جرى بين أهل الأندلس، وعلماء التاريخ سموا علماء الشريعة قديماً بالمدجلين، الجيل الأول والثاني بقيت فيه بقية توحيد، الجيل الثالث فما بعد أصبح متغير ومتبدل، كثير من أهل الأندلس أصولهم عربية وأصولهم مسلمون باتفاق المؤرخين إلا من جاء بلادهم من خارج إسبانيا، الأجيال الثلاثة كفيلة أن تغير وأن تبدل ولذا سر قبول الغرب أوروبا وإفريقيا المسلمين يقولون نحن نسامحك ونسامحك في ولدك وفي حفيدك لكن مابعد ذلك لابد أن يغيروا ويبدلوا، وأنا أقول لكم الله ﷻ منَّ على هذه الأمة مصداق قول النبي ﷺ: "إن الله يبعث على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها". فأدركنا ولله الحمد والمنّة جماعة من المجددين والتجديد قد يختلف من شخص لشخص وكان الشيخ ابن باز يقول: "المجدد في التوحيد في هذا الزمان محمد تقي الدين الهلالي، والمجدد في الحديث شيخنا الألباني" كادت أن تمضي مئة سنة والعبرة في الدعوات ليس الجيل الثاني والثالث إنما الذي بعده فهل أنتم مستعدون لنشر دينكم ولتعليم الناس العقيدة الصحيحة حتى نبقى على السّنَن وحتى نبقى على ما ورثناه من أشياخنا وعلمائنا ممن ربطونا بأقوال الصحابة والتابعين رضوان الله تعالى عليهم هذه سُنة لله ﷻ لا تتخلف.

الذي أريد أن أقرره أن المشركين ماحققوا توحيد الألوهية بسبب خلل فيه وإلا فتوحيد الربوبية الذي حصلت أصوله العامة عند المشركين ما جعلتهم يلزمون توحيد الألوهية بسبب خلل فيهم

وهذا الخلل ينبغي أن نتفقده ونحن نقرأ الكتاب وسنتعرض له في أول الدرس القادم باذن الله تعالى هذا والله تعالى أعلم وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.
أتابع ما أريد أن أقول في عشر دقائق مهمة وأرى أن الناس يخلطون بين قضايا للأسف لا ينتبهون إليها سيأتي كلام المصنف مطولاً ، لماذا خلق الله الناس ؟ قال تعالى:" وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ" لماذا قدّم الله الجن على الإنس؟ هم وجودهم قبل الإنس أوالعبادة يعني ينبغي لصاحبها أن يخفيها والجن مخفيون، "وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون" هذا في إرادة الله في شرعه أم في كونه ؟ هذا في قدر الله في شرعه طيب لماذا خلق الله تعالى الناس في إرادته القدرية الكونية لا الشرعية ؟ الشرعية أنها وما خلقت الجن وإلانس ما هي الغاية من خلق الناس فيما ذكر الله في كتابه في إرادته في كونه في إرادته القدرية لا الشرعية ؟ قال الله ﷻ: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ}، وقال تعالى: {وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ} ، خلقه الله ليختلف تبيّن تأمّل معي كم مخطئ ذاك الإنسان الذي يقول الخلاف مستساغ ومحمود، واللهُ ما خلق الناس إلا للخلاف وما شابه، هذا الكلام صحيح أم باطل؟ باطل، لماذا هو باطل؟ لأن هذه إرادة الله في كونه لا إرادة الله في شرعه؛ فخلط بالأشياء هكذا صنع المشركون خلطوا بين الإرادتين كما سيأتي معنا في الدرس القادم إن شاء الله لكن آثار هذا الخلط للأسف ما زال موجوداً ولا حول ولا قوة إلا بالله، ثم تقسيم التوحيد لأصناف ثلاثة تأتينا كلمة ولكني أتعجل قبل أن أتكلم الكلمة حول تقسيم التوحيد لِكَم قِسم يُقسم التوحيد؟ التوحيد يُقسم لقسمين أو ثلاثة: إما توحيد عملي وهو الألوهية يسموه العلماء القصد والطلب ، وإما توحيد علمي الذي يسموه العلماء توحيد المعرفة والإثبات إثبات الصفات وهو الذي يقابل توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات فالتوحيد يُقسم إلى قسمين: العملي: قصد وطلب، والقسم الثاني: معرفة وإثبات: أو العلمي أو

من الأصناف الثلاثة وهو توحيد الربوبية، توحيد الألوهية، توحيد أسماء وصفات، طيب توحيد الحاكمية! ؟ هل هناك توحيد حاكمية ؟ قال تعالى: {وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ۞ فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا} الآيه.. لكن هل يجوز أن يُخص توحيد الحاكمية بنوع مستقل أم لا ؟ لا، ما وجدنا هذا عند السابقين فكل من قال توحيد الحاكمية أقول لهم من الذي سبقك؟ لكن هل المراد بأن نردّ الأمور والأحكام إلى الله ؟ هذه واضحة ! لكن هذه التسمية ليست صحيحة لماذا؟ لأن الله ﷻ يقول: {إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} تأمل معي الآن "إن الحكم إلا لله" قال بعدها "أمر ألا تعبدوا إلا إياه" فإذن توحيد الحاكمية ليس نوعاً مستقلاً وإنما توحيد الحاكمية هو جزء من توحيد الألوهية، "إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه" فتوحيد الحاكمية هو جزء من توحيد الألوهية وليس نوعاً مستقلاً إنما هو جزء من توحيد الألوهية، والأدلة على أنواع هذا التوحيد؛ أنا أدعو إخواني سواء ممن أواجههم أو ممن يسمعون الكلام في وردهم في تلاوتهم للقرآن الكريم أن يتأملوا أنواع هذا التوحيد ووجودها في كتاب الله، وكذلك إخواني الذين هم مختصون بالحديث ولا سيما في الأذكار التي تقال دبر كل صلاة وما شابه ليتأملوا ما يقولون ويوزعوها على أنواع التوحيد فضلاً عن كلام علمائنا الأفذاذ الكبار الذين سبقوا شيخ الإسلام وذكروا أنواع التوحيد الثلاثة؛ لأن بعض الضّالين في هذا الزمان يقول: "الذي يقول بأنواع التوحيد الثلاث هؤلاء مشركون كأنهم يقولون بالتثليث مثل اليهود والنصارى"، وهذا ضلال ما بعده من ضلال وهذا الضلال على مثال من يقول: لما تقرأ الرحمن الرحيم يقول: من قرأ الرحمن الرحيم كأنه يؤمن بإلهين هذا كذلك، هذا ضلال وكفر؛ لذا سأعقد في كل شهر مرة في هذا المجلس ما دام الإفطار جاهز إن شاء الله بعد مانتهي الدرس سأسمع منكم وسنبدأ في الأسبوع الرابع في هذا المجلس استقراء الآيات والأحاديث وأقوال

السابقين من العلماء في أنواع التوحيد وتقسيم التوحيد للأنواع الثلاثة؛ يعني وأنت تقرأ القرآن تأمّل مثلاً قول الله تعالى في سورة مريم: {رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا} كم نوع من التوحيد ؟ ثلاثة ربّ السماوات والأرض: ربوبية، فاعبده واصطبر لعبادته: ألوهية، هل تعلم له سمياً: صفات، وأنت تقرأ وردك اليومي تدبّر وسأسمع منكم بعد الدرس في كل أسبوع رابع إن شاء الله تعالى، وأول مجلس نجلسه في استقراء الآيات والأحاديث وأقوال العلماء في أنواع التوحيد. هذا والله أعلم وصلى الله وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.